

عنوان الخطبة : سلوك المسلم مع أقدار الله

الخطبة الأولى :

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ، وأخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى ، والحمد لله الحمد لله الذي أغنى وأقنى ، وأضحك وأبكى و أمات و أحيا وأن عليه النشأة الأخرى ، والحمد لله يعلم السر وأخفى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فإذا قضى الله عليك قضاءً فلترضَ يا عبد الله فإن الله هو المولى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يقرب الليل والنهار، ويعلم السر والجاهار ، وكل شيء عنده بمقدار، فارضَ بقضاء ربك فإنه الملك الجبار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رضى بقضائه، وسعد بعطاءه، أتقى من عبد الله تعالى فوق أرضه وتحت سمائه .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (١٠٢ آل عمران) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِإِعْدِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (١٨) سورة الحشر .

أما بعد عباد الله :

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أجازنا الله وإياكم من البدع والضلالات والنار .

معاشر المؤمنين :

إنه الله سبحانه وتعالى يقرب الليل والنهار ، إنه الله سبحانه وتعالى بيده مقاليد الأمور ، إنه الله عز وجل يعز من يشاء، ويدل من يشاء، يحيي من يشاء، ويميت من يشاء، سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

إنه الله، مقاليد الفرج بيديه ، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، و لا مغير لأمره ، سبحانه ما أعظمه إذا قضى قضاءً فإنما يقول له كن فيكون ، وفي قضاء الله خير ، فلتعلم يا عبد الله إنك لن تذوق حقيقة الإيمان

حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وذاق طعم الإيمان - فيما رواه الإمام مسلم من حديث العباس رضي الله عنه - قال: رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً)، رضي بالله مديراً ومصرفاً، رضي بالله حاكماً وقاسماً، (من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم نبياً).

والإيمان - يا عباد الله - نصف شكر ونصف صبر ، قال علي رضي الله عنه وأرضاه وجعل أعالي الجنة مثواه: (ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له) .

ويتلي الله سبحانه وتعالى عباده بما شاء من الأقدار ، ليختبرهم سبحانه في إيمانهم به سبحانه وهو الملك الغفار ، وتأتيك الأقدار وفيها من ألطف الله ما الله به عليم ، فلا تجزع ، ولا يعتربك القلق، بل اجعل أمرك لله سبحانه وتعالى، فهو الذي سواك وهو الذي خلق ، يصيبك الفقر ، وقد يكون الفقر خيراً لك ، ويعتربك المرض وقد تكون بالمرض صلتك بالله أعظم وأكبر ، وتعاق عن تجارة وتتأخر عن سفر، ويجعل في ذلك من دفع الشر ما الله به عليم ، وتأتيك أقدار الله، تظنها شراً ولا تدري أن فيها الخير ، لكن ذاك رجل آمن بالله وبقضائه ، وصدّق بكلام الله سبحانه وتعالى ورضي بعبثائه ، وتروي لنا كتب التاريخ إخوة الإيمان: أن ملكاً من الملوك جلس على مائدة الطعام مع وزير له ناصح ، فشاء الله أن يخطيء الملك فيقطع بالسكين إصبعه ، فنظر إليه وزيره ، وقال له: لعل ذلك خير لك ، فظنّ أن يسخر منه، فأمر بسجنه على الفور ، ولما أخذ الوزير إلى السجن قال في الطريق لعل هذا أيضاً خيراً لي ، وخرج الملك بعد ذلك في رحلة صيد، وابتعد كثيراً عن حرسه، وشاء الله تعالى أن يقبض عليه جماعة من الوثنيين، ثم يحملونه قريباً لإلهمهم، فلما أضجعوه للذبح، وأرادوا أن يقربوه قرباناً، نظروا إليه فإذا بإحدى أصابعه مقطوعة، فقالوا: هذا لا يصلح لإلهمنا، هذا ناقص الأطراف، فخلوا سبيله، فرجع إلى مملكته، وأمر بإخراج وزيره من سجنه، وقال له: قلت لعله خير لك فكان خيراً لي لما قطعْتُ أصبعي ، لكن لماذا لما حملناك إلى السجن، قلت: لعله خير لي، فأبي خير لك في سجنك؟، قال : أيها الملك إني ملازم لك، ومصاحب لك، ولو خرجت معك في رحلة الصيد هذه، لقبض عليّ أولئك، ولقربوني قرباناً لإلهمهم، فكان في قطع إصبعك خير لك ، وكان في سجنني خير لي ، فلا إله إلا الله .

لا إله إلا الله تأتيك أقدار الله، وما تعرف أن فيها الخير وتحسبها شراً ، وفيها من أطفاف الله ما الله به عليم، كنت في مجلس من المجالس فحدثتهم عن دعاء الاستخارة ، ثم رويت بقصة رجل استخار الله، وذهب إلى المطار، فأقلعت طائرته قبل موعدها ، فأخذ يصيح في ردهات المطار ويطالبهم بإرجاعها ليركب فيها، وما هي إلا دقائق ، حتى وصل إليه خبر سقوطها بمن فيها من الركاب فخرّ لله ساجداً ، والله أيها الإخوة، حدثتهم بهذا الخبر، فإذا بجميع من في المجلس يشيرون إلى رجل بينهم، يقولون: هذا، هذا يا شيخ، حدث له مثل ما ذكرت، وهو الآن بيننا حي يرزق، فلا إله إلا الله، فلا إله إلا الله، إلزم دعاء الاستخارة في كل شأنٍ من شؤونك ، ولعل الله يجعل فيما تحسبه شراً ما هو خيرٌ لك .

أيها المؤمنون، عباد الله، وتأتينا أقدار الله، المؤمن إذا أصابه الله بشيء من أمرٍ لم يجزع، ولم يسخط ، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، وتأتيك أقدار الله، ويبدل الله سبحانه من حال إلى حال، فأَيُّ شيء هذا الجزع، وذاك التفكير والقلق ، أليس الأمر بيد الله !، (كل يوم هو في شأن) ، (لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون) ، وتأتيك أقدار الله،

وما بين غمضة عينٍ وانتباهتها يبدل الله من حالٍ إلى حال،

وتروي الأخبار عن رجل - إخوة الإيمان -، كان نجاراً في قريته، ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يقع منه ما أغضب الملك عليه، فأقسم الملك بالله ليقتلنه مع إشراق الشمس، فرجع إلى بيته، وبات ليلته مغموماً مهموماً مكروباً، نظرت إليه زوجته ما شأنك ؟ قال: أقسم الملك ليقتلني مع شروق الشمس، فقالت له الزوجة: وأين نحن من شروق الشمس!!، لا يأتي الشروق إلا ويفعل الله ما يشاء، فقال: إليك عني، أقسم ليقتلني فكيف أنجو عنه ؟ ومرت ساعات الليل عصبية - أيها الإخوة - على هذا الرجل، وفي آخر الليل، وإذا ببابه يدق دقاً عنيفاً، خرج وقلبه مهلوع، فإذا بحراس الملك عند بابه ، قالوا: أنت فلان النجار، قال: نعم قالوا: فتعال معنا الآن سريعاً، فقال : اتقوا الله فيّ، ما زال وقت إلى شروق الشمس، اتركوني أصلي ركعتين، قالوا: أنت مجنون، تريدنا أن نأحرك حتى تصلي ركعتين، قم معنا الآن سريعاً!!، نريدك أن تصنع لنا نعشاً؛ لأن الملك مات بالليل، فلا إله إلا الله، وأنت مهموم، وأنت مكروب، وأنت مغموم ،

وما بين غمضة عينٍ وانتباهتها يبدل الله من حالٍ إلى حال

واجعل دائماً في دعائك وقني شر ما قضيت؛ فإنه لا يرد القضاء إلا الدعاء، فأكثر من توجهك لرب الأرض والسماء، فإن مقاليد الأمور بيديه، ولا يعجزه شيء سبحانه.

وتأتيك أقدار الله، ويجعل الله الخير مع الصبر، ويجعل الله الأجر مع الشكر، وعجباً لأمر المؤمن (إن أمره كله له خير؛ إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سرء شكر فكانت خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن) .

تأتيك أقدار الله، وهي محل اختبار وامتحان لك؛ أتصبر على بلاءك؟ أتشكر الله على ما أعطاك؟ ، ويصاب الشعبي بقرحة في رجله، فينظر إليها الناظر، ويقول: يا إمام، إني لأرثي لحالك كلما نظرت إلى قرحة رجلك، فقال : اسكت يا هذا، والله من يوم خرجت أحمد الله على أربع - واسمع للذين يتعاملون مع الله - أحمد الله سبحانه وتعالى أنها كانت في بدني، الحمد لله ما كانت في ديني ، وأحمد الله سبحانه وتعالى أن كانت في رجلي، الحمد لله ما خرجت في عيني ، وأحمد الله سبحانه وتعالى أنها كانت بهذا القدر، الحمد لله ما زادت عليه، وأحمد الله سبحانه وتعالى أن رزقني أن أحده على ما ابتلاني به، هؤلاء أقوام عرفوا كيف يتعاملون مع أقدار الله سبحانه ، فاجعل هذا الذكر دائماً على لسانك، حدث به قلبك، وحرك به لسانك؛ إن أصابك شيء فسارع بقولك: الحمد لله، إن الله وإنا إليه راجعون.

وتأتيك أقدار الله، وقد يأخذ الله من بين يديك بعض النعم ، نعم، قد تسلب بعض العافية، ويأخذ منك شيء من النعمة، لكن ما يدريك لعل الله سبحانه وتعالى أن يعوّضك خيراً مما أخذ منك ، وزوج الرسول صلى الله عليه وسلم أم سلمة رضي الله عنها، يموت زوجها، فتتذكر حديث رسولها صلى الله عليه وسلم: (ما أصابته مصيبة فقال: اللهم أجرني في مصيبي، وخلفني خيراً منها إلا أبدله الله خيراً منها)، فقالتها محتسبةً أجرها، فأبدلها ربنا سبحانه زوجاً؛ رسوله صلى الله عليه وسلم ، فاجعل هذا في دعائك، مع كل ما أصابك: اللهم أجرني في مصيبي، وخلفني خيراً منها، وهنا تجد للإيمان طعم، وتعجب، والعجب حال المؤمن، وتذوق طعم الإيمان، وهنا تكون من عباد الله سبحانه؛ الذين إذا أعطاهم شكروا، وإذا ابتلاهم صبروا، وإذا أذنبوا استغفروا، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني وإياكم منهم، قلت: ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية :

غير موجودة .